الخارطة تظهر موقع السلفادور من نيكاراغوا

## النار تحت الرماد في السلفادور

### القوى الفلاحية تحمل لواء الكفاح المسلح منذ الثلاثينات والديكتاتوريات المتعاقبة تحمل لواء القمع والارهاب المنظم

# محادثات سرية أميركية - سلفادورية في أثر انتصار الساندينيين

**لم يكد يمضي اسبوع على انتصار الثورة الساندينية في نيكاراغوا ، وسقوط ماناغوا في ايدي الثوار ، حتى كان نائب وزير الخارجية الامركية للشؤون الاميركية فيرون فاكي يجري محادثات سرية مع القادة العسكريين في السلفادور . وكانت احدى الاستنتاجات التي عاد بها فاكي الى واشنطن ، هي قناعته بأن السلفادور نسخة طبق الاصل عن نيكاراغوا ــ سوموزا .**

والحقيقة انه بالامكان اجراء مقارنة بين الاوضاع في البلدين وايجاد اوجه شبه عدة . ولكن بالامكان ايضا ، ايجاد خصائص تجعل انفجار الوضع في السلفادور ــ وهو مرتقب منذ وقت طويل ــ على اساس طبقي ، وليس على اساس استقطاب لكافة الطبقات تقريبا ، ضد « نخبة » يتزعمها ديكتاتور ، كما كان الحال في نيكاراغوا ــ سوموزا . هذا ، بالرغم من ان انتصار الثورة الساندينية سيكون له تأثير ايجابي لا مجال للشك فيه ، على حالة ما قبل الانفجار التي تعيشها السلفادور . فقد اصبح لسان حال القادة العسكريين في السلفادور من بعد سقوط الديكتاتور النيكاراغوي هو التالي : اذا كان الجهاز العسكري المنيع الذي بناه سوموزا درعا لنظام حكمه ، قد انهار تحت ضربات الانتفاضة الشعبية وطليعتها الساندينية المسلحة ، فان المؤسسة العسكرية في السلفادور يمكن ان تواجه نفس المصير .

ولا شك ان المحادثات السرية التي جرت بين فيرون فاكي وبين هؤلاء القادة ، قد دارت حول هذا الاحتمال وطرق تفاديه .

هذا الخوف من تدفق الثورة من نيكاراغوا الذي يسيطر على حكام السلفادور وعلى واشنطن ايضا ، هو الذي جعل مدينة شيناديغا النيكاراغوية القريبة من خليج فونيسكا ــ الفاصل بين نيكاراغوا والسلفادور ــ واحدة من آخر المدن التي تسقط في يد الثوار الساندينين . اذ ان احد الاسباب الرئيسية كان وجود عدة مئات مما سمي بـ « المتطوعين » من القوات المسلحة السلفادورية الذين كانوا يقاتلون مع قوات الديكتاتور سوموزا ، الامر الذي حول مدينة شيناديغا الشمالية القريبة الى معقل من معاقل الحرس الوطني .

وقد تعدت المساعدات السلفادورية لسوموزا ارسال قوات للمشاركة في محاولات صد الثوار الساندينين الخائبة ، الى ارسال طائرات ف ـ ٢٨ الهجومية خلال الاسابيع الاخيرة للقتال عندما راح سوموزا يستميت في محاولاته لوقف تقدم الثوار ، بواسطة الاستخدام الكثيف لسلاح الطيران لقصف مواقعهم ، بل ولقصف التجمعات السكنية التي يمكن ان تشكل غطاء لتقدمهم . وبالطبع ما كانت السلفادور لترسل طائرات هجومية لسوموزا من دون ان تكون قد حصلت مسبقا على الضوء الاخضر الاميركي بهذا الخصوص . فسقوط سوموزا بواسطة انتفاضة شعبية تقودها طليعة مسلحة ، يعني ان الديكتاتورية في السلفادور معرضة « لخطر مشابه » .

وفي الواقع هناك عدد من النقاط المشتركة في ظروف البلدين . فكلاهما مرتا بحروب اهلية دموية في اوائل الثلاثينات . وكانت الحرب الاهلية في السلفادور أكثر دموية ، وحيث قتل ما يزيد عن ٣٠ الف شخص في فترة تقل عن السنة ! ــ ولم تخمد الحرب هناك الا من خلال تدخل الولايات المتحدة التي راحت تدعم الطغم العسكرية ، ومكنتها من قمع الانتفاضات وسحق طلائعها ، في احد اعنف اعمال القمع التي شهدتها دول ذلك الجزء من القارة الاميركية . ومنذ ذلك الوقت خضعت كل من السلفادور ونيكاراغوا لديكتاتوريات عسكرية كلفت نفسها لكن من دون جدوى ، استخدام البرلمان كواجهة لادعاء حكم ذي مناخ ديمقراطي . كذلك اعتمد نظاما الحكم في كلا البلدين على الدعم الشامل من الولايات المتحدة ، الذي لولاه لما استطاعا البقاء والاستمرار . ولكن هنا تنتهي أوجه الشبه لتبرز خصائص مميزة لكل واحدة منهما على حدة .

ففي نيكاراغوا حكمت عائلة سوموزا طوال ٤٥ سنة ، بينما شهدت السلفادور خلال الفترة الممتدة منذ ١٩٣٢ انقلابات عسكرية عديدة بلغ عددها ١٧ انقلابا ، وحيث يرأس الطغمة العسكرية الرئيس الجنرال همبرتو روميرو .

لقد استعدى الديكتاتور سوموزا الطبقة المتوسطة النيكاراغوية لانه ركز السلطة الاقتصادية والسياسية في يديه وايدي زمرته . وهذا الوضع المستمر دفع هذه الطبقة الى الالقاء بثقلها الى جانب الساندينين على اساس الالتقاء على هدف الاطاحة نهائيا بالديكتاتورية السوموزية . وفي السلفادور حيث تحكم ما يسمى بـ « الاربع عشرة عائلة » ( عددها حوالى ٢٠٠ الان ) وتسيطر على الاقتصاد السلفادوري ، من الصعب ان تنحى هذه القلة الحاكمة منحى برجوازيي نيكاراغوا ، بل لا يتوقع ان تفعل ، وتفرط الشراكة مع حلفائها العسكريين .

ولكن خلال الـ ١٥ سنة الاخيرة ، ونتيجة انجذاب الرساميل الاميركية الشمالية والالمانية الاتحادية واليابانية بفضل سياسة الحكومة باعفاء « المناطق الصناعية » من الضرائب ، بدات تنمو طبقة متوسطة جديدة . وقد توازى مع هذا النمو ، بروز معارضة متمثلة بالحزب الديمقراطي المسيحي الذي تصدر تحالفات انتخابية ليبرالية الاتجاه ، في سنتي ١٩٧٢ و ١٩٧٧ ، والذي كسب مرشحوه انتخابات الرئاسة ليخسروها فورا ، نتيجة التزوير في النتائج .

ان اي دراسة للمجتمع السلفادوري وما آل اليه القمع هناك ، لا بد لها اولا ان تلقي نظرة معمقة على طبيعة المجتمع ، الذي لم تزل يرزح تحت وطاة النظام الاقطاعي المبرجز تشوبها . فلم تزل البنية الاجتماعية تعتمد اساسا على المنتوج الزراعي ، ولم تزل النقابات الفلاحية كما بدات منذ عام ١٩٣١ تحمل لواء الكفاح المسلح ضد السلطات المتعاقبة . ان عدم الكفاية الغذائية للفرد ، والغياب الكامل لاي تقنين زراعي لصالح السكان ، وتعاقب السلطات العسكرية ، واحتكار الارض بيد فئة قليلة من الملاكين الكبار ، وصغر مساحة الارض مقارنة بالسكان ، تضع مشكلة الارض على راس مشاكل هذا المجتمع ، وتضع للريف اولوية النضال والكفاح المسلح المستمر ضد كل انواع الاستغلال والقهر . لذلك يكون من البديهي ان نبدأ بالارض والفلاح أولا ، معيشتهم ، زراعتهم ، نضالهم الدؤوب .

## الارض والفلاح والثورة

تعد مشكلة الارض في السلفادور ، احدى أعظم المشاكل الازلية التي لم تتوقف عن الازدياد سوءا في التوزيع واهمالا في التخطيط وجورا للفلاح ، فالبلاد صغيرة جدا حيث تبلغ مساحتها ٢١ الف كيلومتر مربع ، وعلى هذه الارض المحدودة أن تغذي ٤ر٤ مليون نسمة ، حيث يشغل كل ٢٢٠ ساكنا كيلومترا واحدا ، ويزيد من تفاقم المشكلة تركيز ملكية هذه الارض بيد قلة من الملاكين الزراعيين . فحسب آخر احصائية اجريت عام ١٩٧١ ، وجد أن ٤٩٪ من السكان لا يملكون الا ٥٪ فقط من المساحة المزروعة باستثمارات لا تزيد الواحدة منها عن هكتار واحد ، في حين يملك الملاكون الكبار الذين لا تزيد نسبتهم عن ٧ر٠٪ من مجموع السكان مساحة هائلة وصلت الى ٣٩٪ من المساحة المزروعة واستثمارات لا تقل الواحدة منها عن ١٠٠ هكتار ، ويتضاعف الاستغلال حين نعلم بان بعض الملاكين يتمتع بملكية استثمارات عدة في الوقت نفسه .

وفضلا عن مشكلة مساحة الارض واسلوب توزيعها تبرز مشكلة ريفية عقيمة اخرى وهي اختلال التوازن ما بين العرض والطلب على الايدي العاملة في الريف ، فبالامكان ملاحظة ٤٥٪ تقريبا من الايدي العاملة الزراعية تعمل موسميا ، وهو ما يصفه المتخصصون بالبطالة المقنعة . اما باقي الطبقة العاملة فمشكلتها الازلية تتركز في ضآلة الاجور وقسوة العمل وانعدام الضمانات الاجتماعية والصحية والامنية . يذكر الاقتصادي اللاتيني ارلاند كولندس بانه في السنوات الاخيرة ١٩٦٥ ــ ١٩٧٠ ، شهد الريف السلفادوري ، حالات افقار مطلقة للفلاحين ( على عكس القطاع الصناعي الذي شهد بعض النمو المحدود ) وبناء على هذا انخفض الاجر المتوسط في الوسط الريفي الى ٥ر٧٪ مقارنة بالرقم الحسابي لمستوى المعيشة .

اذن ما السبيل الى حل مشكلة الارض ؟ ان حل المشكلة ليس بسيطا طالما تستمر التركيبة الاجتماعية في اعطاء كل الافضليات الى الارستقراطية الزراعية وبرجوازيي المدن ، فقلة حجم المساحة مضافا لها الاتجاه الجديد السائد بزرع الارض بمنتوجات قابلة للتصدير بهدف الحصول على النقود الاجنبية ، زاد من خطورة المشكلة وادى الى مزيد من الافقار للسكان ، والمشكلة ليست حديثة ، فمنذ القرن التاسع عشر عندما قرر أن تكون السلفادور احدى الدول المصدرة للقهوة ، خصصت مساحات واسعة لزراعتها ( على عكس غواتيمالا التي زرعت هي الاخرى القهوة ، لكن في الاراضي غير المستغلة ) ولكن على حساب زراعة محاصيل اخرى غذائية لم يزل السكان بامس الحاجة لها ، الامر الذي ادى الى تقليص مساحة الارض المخصصة للغذاء ، وهكذا اصبح المنتوج الزراعي لا يغطي الطلب المحلي ، فالملاكون الكبار الذين استولوا على الاراضي البركانية ( الجيدة الخصوبة ) لزراعة القهوة ، قاموا بطرد المجموعات الريفية التي ساهمت بدورها في بطالة الريفيين .

والحال فالبنية الزراعية قد استمرت تعطي نتائجها السيئة ، فزراعة القهوة ركزت رأس المال الحاصل من التصدير بيد شريحة طبقية صغيرة وركزت السلطة بيدها ، فضلا عن بقاء راس المال ثابتا دون ان يتحرك في ايادي شعبية ، وذلك لان القهوة لا تثمر الا بعد ثلاث سنوات من زراعتها . ان السلطة بطبيعة تركيبها الطبقي تنزع للاهتمام بزراعة القهوة ركضا وراء مزيد من النقود الاجنبية . وهذا الاتجاه ينمو عاما بعد آخر . ففي سنة ١٩٧٤ كانت دخول القهوة تساهم بنسبة ٤٣٪ من النقود الاجنبية . ولقد ارتفعت هذه النسبة الى ٦٣٪ عام ١٩٧٤ ، وهذا يعني ان الثروة تركزت اكثر في ايدي الطبقة المسيطرة ، وأن مزيدا من البؤس والافقار وقلة التغذية اصاب الاغلبية الساحقة للجماهير مما أعطاها مزيدا من الاندفاع نحو الثورة والعنف الثوري .

ان معظم الحكومات العسكرية المتعاقبة منذ عام ١٩٤٨ قد وعدت أن تتبع سياسة زراعية جديدة ، وأن تحد من هيمنة ملاكي زراعة القهوة ، وان ترسخ سياسة تصنيعية متوسطة وذلك بواسطة اتباع استراتيجية ضريبية على انتاج القهوة . وبالفعل بدات الحكومات العسكرية تستقطع جانبا من ارباح القهوة. الا انهم فتحوا المجال بالوقت نفسه أمام الاستثمارات الاجنبية التي وسعت من جانبها رقعة الاستغلال واستغنت عن أيد زراعية كثيرة نتيجة استخدام الالات الحديثة في الزراعة . وهكذا فشلت معظم الحكومات العسكرية في حل المشكلة بل انها لم توقف تاجج تفاقمها . حتى المحاولات البائسة لانشاء بعض الصناعات المحلية المتوسطة في المدن لم تستطع أن تستوعب بعضا من جيش العمل الريفي العاطل .

لقد حاول أحد الجنرالات وهو الجنرال مولينا ( الرئيس السابق لروميرو ) أن يقرر اصلاحا زراعيا لامتصاص تصاعد العنف الفلاحي ، الا أن مشروعه هذا وجد معارضة حادة من ملاكي الارض الكبار مما أدى الى فشله . وهكذا فان ثبات الملكية الزراعية منذ عشرات السنين أدى الى جعل هذه الدولة الصغيرة لاميركا الوسطى ، مسرحا حقيقيا للعنف وحياة دامية ، رافقتها ارادة فلاحية مسلحة وواعية تعمل لتقويض الحكومات العسكرية والتدخلات الاجنبية.

ولكن أهم عنصر جديد برز في الساحة السياسية كان ظهور معارضة شعبية فلاحية . فمنذ تزوير الانتخابات في سنة ١٩٧٢ ، والانقلاب الفاشل الذي قامت به مجموعة من الضباط الليبراليين ، الذي تلا ذلك ، حرصت أنظمة الحكم العسكرية للرئيسين ارتورو مولينا وكارلوس روميرو ، على تصعيد مستوى القمع ضد اي شيء تشتم منه رائحة معارضة .

في الواقع استوردت انظمتها من الديكتاتورية الحاكمة في الارجنتين والتشيلي ، مبدأ « الامن القومي » ، الذي يعتبر حتى أخف الانتقادات التي توجه الى انفسهما كـ « حماة للبلاد » ، ممارسة « تخريبية » تخدم « الشيوعية العالمية » ، ومن الضروري « سحقها » (!) .

وكانت الاهداف الرئيسية في احد اشرس مراحل القمع في السلفادور ، هي زعماء الطلاب والفلاحين ، الذين بداوا « يختفون » بالعشرات ، ثم تظهر جثثهم ، أو يعتقلوا ثم تظهر جثثهم ، وآثار التنكيل بادية عليها . وقد بات معروفا بان ليس الجيش وحده ــ وهو وحدة من وحدات عسكرية متعددة ــ هو الذي يقوم بهذه المهام ، بل تساعده « فرق الموت » اليمينية الشهيرة. وكان أسلوب اطلاق النار على المتظاهرين قد اصبح ممارسة مألوفة من نظام الحكم الديكتاتوري .

---

**سلفادور**

**تصاعد العنف الثوري ، والقمع المضاد**

عثر يوم الجمعة ٢٤ آب الماضي في شمال سلفادور على ٩ جثث مصلية بالرصاص .

وعرف بان هذه الجثث هي لفلاحين اختفوا بعد اربعة ايام على الاشتباك الذي حدث ما بين الفلاحين والحرس الوطني والذي ادى الى سقوط ثلاث قتلى ، ومن جانب آخر نفذت منظمة القوى الشعبية للتحرير التي تمارس الكفاح المسلح ضد النظام حكم الاعدام في عضوين من المنظمة الوطنية التابعة للحكومة ، ولقد قتل العضوان في مدينة ديكولوكا التي تبعد ٦٠ كيلومترا عن سان سلفادور .

---